

تكلمنا في الأسبوع الماضي عن النعمة، كلمة عامة. ونود في هذا اليوم أن نتكلم عن بعض أنواع من النعمة..

عمل النعمة وأنواعها¹

+ نعمة الدعوة:

الدعوة عمل من أعمال النعمة. لذلك يقول الكتاب: "الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم.. وهؤلاء دعاهم أيضًا" (رو 29:8,30)

ليس الإنسان هو الذي يدعو نفسه، بل الدعوة تأتيه من الله، بعمل من النعمة. لهذا قال السيد المسيح لتلاميذه "لستم أنتم الذين أخترتموني، بل أنا الذي أختاركم". وقال الكتاب "ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه، بل المدعو من الله كما هرون" (عب 4:5)

نوع من هذه الدعوة الذين دعاهم الله من بطون أمهاتهم. مثلما دعا يوحنا المعمدان من بطن أمه و ملأه من الروح القدس، و مثلما دعا شمشون و نذره لنفسه قبل أن يولد. ومن أجمل الأمثلة لهذه الدعوة، قول رب إرميا النبي:

"قبلما صورتك في البطن عرفتني. وقبلما خرحت من الرحم قدستك. جعلتك نبيا للشعوب" (ار 5:1).

ما زلت إرادة إرميا قبل أن يولد؟ أو ما زلت قوته؟ ونفس الكلام يقال عن يعقوب أبي الآباء وغيره. ولكنها الدعوة التي دعت.

لا شك أن النعمة دعت بناء على علم الله السابق، الذي يعرف الناس قبل أن يولدوا، و "الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم، دعاهم". ولكن مه ذلك هناك كثيرون صالحون، ولم يدعهم الله ليكونوا رسلا أو أنبياء أو كهنة.

انما النعمة دعت اشخاصا معينين، بناء على إرادة الله الصالحة وحكمته. كما قال بولس الرسول "لما سر الله الذي افرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته.."

ولعل البعض يسأل: وما ذنبي أن الله لم يدعني؟ نقول له: لا ذنب لك، إلا لعدم صلاحية بسبب أخطاء... وعلى العموم ليست الدعوة إلى الخدمة سوى الدعوة إلى الصليب، وإلى مسؤولية، وإلى تعب وجهد وعرق ودموع، وكل واحد يأخذ أجنته بحسب تعبه.

وقد لا تكون رسولا ولا نبيا، ولكن "اجرنبي تأخذ". وماذا قال "بل أعظم مننبي" ... الله يهمه القلب والحب أيًا كان الوضع...

إن الخدمة اشتراك مع الله في عمله، في بناء ملكته، لذلك كانت الدعوة إليها نعمة. والكل يشتقون إلى هذه النعمة.

فإن كانت الخدمة نعمة، فماذا نقول إذا عن الذين يدعون فيعتذرون؟! يدعون إلى الكهنوت مثلا، فيرفضون أو ترفض زوجاتهم أو أباوهم أو أمهاتهم!

إن رفض الدعوة أو اهمالها أو الاعتذار عنها، أمر خطير ينبغي أن يعمل له الإنسان ألف حساب. لأن الذي يرفض الكهنوت من أجل سبب عالمي، إنما يرفض أن يكون وكيلاً لله، وخداماً لمذبحه ووسطياً للأسرار الإلهية، وشفيعاً بين الله والناس...!!

ان الدعوة نعمة تقدم للناس. هناك من يقبلها، وهناك من يرفضها.

لقد سبق للرب أن دعا أشخاصاً. فمنهم من اعتذر بدنن أبيه، ومن اعتذر بأن له خمسة أزواج بقر، أو له زوجة. ودعا رب الشاب الغنى، مضى الشاب حزيناً..

الذي قوله عن خدمة الكهنوت ورفضها، قوله أيضاً عن الرهبنة، إنسان يدعوه الله، فتقوم قائمة أسرته كما لو كان قد هلك ... أليست نعمة من الله، أن يسكن إنسان في بيته، ويسمع بركة المزمور "طوبى لكل السكان في بيتك، بياركونك إلى الأبد" ... وبينما يرفض هؤلاء نعمة الدعوة، يقول بولس الرسول: "لما سر الله الذي افرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته... للوقت لم استشر لحما ولا دما، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين كانوا قبل" (غل 15:1-17).

متى دعي، فترك مكان الجبائية، ونبع المسيح للتلو. وبطرس وأندراوس لما دعوا تركاً السفينية والشباك، والسامرية تركت الجرة، وموسى تك قصر فرعون، وإبراهيم ترك أهله ووطنه وعشيرته وبيت أبيه.

كل أولئك استجابوا للدعوة، واطاعوا، وصحوا من أحلمها...

وأنتم إن لم تدعوا دعوة كبيرة كهؤلاء، فعلى الأقل دعوكم لتكونوا هيأكل للروح القدس ومساكن الله، ليعمل الله فيكم وبكم. فمن منكم يجرؤ أن يرفض هذه الدعوة الإلهية؟!

ليت الإنسان يصل إلى الله بدموع أن ينال هذه الدعوة، وأن يراه الله مستحقاً... ولا يكون كالذي تمر به الدعوة لا يشعر بها!!"النور الذي أضاء في الظلمة والظلمة لم تدركه" ...

هناك أشخاص يلقون بأنفسهم القاء في طريق الله، فيدعوهם بنعمته

هم الذين يبدأون، ثم يدعوهم الله، حينما يختبر أمانتهم، أو بعد أن يعدهم... موسى الأمير الذي بنفسه في طريق الله، ودافع عنه مرتكباً أخطاء... فأخذه الله، وأعده في البرية، ثم أرسله... في يوم من الأيام لم يكن يتوقعه موسى، أتاه صوت الله "أنا إله

أبيك...والإن هلم فأرسلك إلى فرعون"... أشعيا النبي مثل من أعجب الأمثلة في الدعوة... سمع صوت الرب قائلا: "من أرسل؟ ومن يذهب من أجلنا؟" (أش1:8).

فقدم إشعيا نفسه وقال للرب: "هأنذا فأرسلني".

من منكم سيلقي نفسه في طريق الرب قائلاً: "هأنذا فأرسلني"؟ إن الدعوة نعمة من الله، هناك من يسعى إليها، وهناك من تأتيه دون سعي فيقبلها، وهناك من تأتيه فيرفض...

نشكر الله الذي دعانا بنعمته، لنكون أبناء له، أمة مقدسة وكهنوتاً مبرراً، أهل بيت الله، وأعضاء جسده، وشهوداً لاسمها.

هناك أشخاصاً يعقدون الأمور، وكلما تأثيرهم الدعوة يشكون، ويتساءلون أحقاً هذه دعوة؟! ولا يميزون صوت الله...

ليتنا ترك هذا التعقيد ونسلك مع الله ببساطة قلب.. قدموا أنفسكم لله، اسلكوا بنقاوة وبساطة واتضاع، وستأتكم الدعوة...

من هنا كان بعض اللاهوتيين يقسم النعمة إلى نوعين:

نعمـة سابـقة، وهـي الـتي تـسبق إرـادة الإـنسـان، ويـبدأ بها اللهـ، مـثـل الـذـين دـعـوا من بـطـون أـمـهـاتـهـمـ. وـنـعـمة مـشـارـكـةـ وهـي الـتي يـبدأ فـيـها الإـنسـانـ بـايـ عـملـ لأـحـلـ اللهـ، فـتـأـتـيهـ النـعـمةـ وـتـشـتـرـكـ فـيـ العـمـلـ معـهـ.

النعـمةـ السـابـقـةـ لاـ تـتوـقـفـ عـلـىـ اـسـتـحـقـاقـ الإـنـسـانـ بلـ عـلـىـ جـوـدـ اللهـ وـكـرـمـهـ. وـالـنـعـمةـ المـشـارـكـةـ قدـ تـأـتـيـ بـدـوـنـ طـلـبـ لـتـقـوـيـةـ الإـنـسـانـ فـيـ جـهـادـهـ، وـقـدـ يـصـرـخـ الإـنـسـانـ إـلـىـ اللهـ طـالـبـاـ نـعـمـتـهـ مـعـتـرـفـاـ بـعـجـزـهـ، فـتـأـتـيهـ.

عـلـىـ الإـنـسـانـ أـنـ يـلـقـيـ شـبـاكـهـ فـيـ الـبـحـرـ، وـلـوـ يـسـهـرـ اللـلـيلـ كـلـهـ دونـ أـنـ يـصـطـادـ شـيـئـاـ، فـلـابـدـ أـنـ اللهـ سـيـفـتـقـدـهـ أـخـيرـاـ.

لـابـدـ أـنـ يـبـدـأـ الإـنـسـانـ، أـيـةـ بـدـاـيـةـ مـهـمـاـ كـانـتـ ضـعـيفـةـ، لـأـنـ الـكـسـلـ لـيـسـ مـقـدـمةـ لـمـجـيـءـ النـعـمةـ، وـلـكـنـهـ إـذـاـ تـرـىـ جـهـادـهـ تـأـتـيـ...

هـذـهـ النـعـمةـ عـلـىـ أـنـوـاعـ مـنـهـاـ: النـعـمةـ الـحـافـظـةـ وـالـنـعـمةـ الـمـعـطـيـةـ.

+ النـعـمةـ الـحـافـظـةـ:

هيـ الحـفـظـ الإـلهـيـ، هيـ تـحـقـيقـ "لـاـ تـدـخـلـنـاـ فـيـ تـجـربـةـ، لـكـنـ نـجـنـاـ مـنـ الشـرـيرـ". "حـافـظـ الـأـطـفـالـ هـوـ الـرـبـ". وـأـمـاـ أـنـتـ فـلـاـ يـقـرـبـونـ إـلـيـكـ".

ما أكثر اختبارات داود في المزامير عن عمل النعمة معه..

أننا لا نحمي أنفسنا وإنما الله هو الذي يحمينا "إن لم يحرس الرب المدينة، فباطلاً سهر الحارس". من أجل هذا يعيش أولاد الله في اطمئنان، معتمدين على هذه النعمة.

يدخل في نطاق هذه النعمة الملك الحارس وحفظ الله لدانيال في جب الأسود، وللثلاثة فتية في أتون النار، وببركة علامة الصليب التي اختبرها القديسون، والعذابات التي لم تضر الشهداء...

قد يقول إنسان "أين هذا الحفظ؟ أنا لم اختبره"! نقول له الحفظ موجود، لكن ربما لضعف إيمانك لم تتمتع به.

ليت كل إنسان يسترجع تاريخ حياته، ويلبس حفظ الله له.. تأكد انه لو لا حفظ الله لك ما كنت تعيش إلى اليوم. إننا كثيراً ما نعتمد على عقولنا وقوتنا لتحفظنا، أو نعتمد على الناس وحيلهم ونترك نعمة الله الحافظة فلا نختبرها.

النعمة المعطية:

نعمه الله تعطي، وبسخاء، ولا تعير. تفتح كوى السماء، وتتسكب الخيرات، حتى نقول كفانا كفانا... كانت مع التلاميذ الذين خرجوا بلا كيس ولا مزود، ولم تدعهم معوزين شيئاً.. فجرت الماء من الصخرة وأنزلت المن من السماء، وباركت القليل فصار كثيراً..

"كل عطية صالحة هي نازلة من فوق من عند أبي الأنوار".

هذه النعمة وهذه العطايا، كل من يطلبها يجدها، ومن يقرع تفتح له. إنما يجب أن يتوجه الإنسان إلى الله كمصدر للعطية، حينئذ ينال ولا يحاول أن يعتمد على مصادر عالمية.

ينبغي أن تصر على الأخذ من الله. قل له: لن آخذ إلا منك. ولن أتركك حتى أنال ولن أطلب من العالم ولا من الناس ولن اعتمد على مواهبي بل عليك وحدك.

إننا كثيراً ما نعيش بعيداً عن النعمة، ولكنها البركة التي نأخذها من الكنيسة في نهاية كل اجتماع. وما أكثر الحديث عنها في الرسائل الجامعة "نعمه لكم وسلام" و"أنمو في النعمة" "لتكثر لكم النعمة".